

الكشاف

فالشیطان هو الخاتم في الحقيقة أو الكافر إلا أن [] سبحانه لما كان هو الذي أقدره
ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى المسبب . ووجه رابع : وهو أنهم لما كانوا
على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغنى عنهم الآيات والنذر ولا تجدى عليهم الألفاظ المحصلة
ولامقربة إن أعطوها . لم يبق - بعد استحكام العلم بأنه لا طريق إلى أن يؤمنوا طوعا
واختيارا - طريق إلى إيمانهم إلا القسر والإلجاء وإذا لم تبق طريق إلا أن يقسره []
ويلجئهم ثم لم يقسره ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والإلجاء
بالختم إشعارا بأنهم الذين ترامى أمرهم في التصميم على الكفر والإصرار عليه إلى حد لا
يتناهون عنه إلا بالقسر والإلجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجأهم في الغي واستشرائهم في
الضلال والبغي . ووجه خامس : وهو أن يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من
قولهم : " في قلوبنا أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقرومن بيننا وبينك حجاب " فصلت
: ونظيره في الحكاية والتهكم قوله تعالى : " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب
والمشركين منفكين حتى تأتيتهم البينة " البينة : فإن قلت : اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع
داخلة في حكم الختم وفي حكم التغطية فعلى أيهما يعول قلت : عل دخولها في حكم الختم
لقوله تعالى : " وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة " الجائية : ولوقفهم على
سمعهم دون قلوبهم . فإن قلت : أي فائدة في تكرير الجار في قوله : " وعلى سمعهم " قلت :
لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والأسماع في تعدية واحدة وحين استجد للأسماع تعدية على
حدة كان أدل على شدة الختم في الموضعين . ووجد السمع كما وجد البطن في قوله : كلوا في
بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك إذا أمن اللبس . فإذا لم يؤمن كقولك : فرسهم وثوبهم وأنت
تريد الجمع رفضوه . ولك أن تقول : السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع . فلمح الأصل يدل
عليه جمع الأذن في قوله : " وفي آذاننا وقر " فصلت : وأن تقدر مضافا محذوفا : أي
وعلى حواس سمعهم . وقرأ ابن أبي عبلة : وعلى أسماعهم . فإن قلت : هلا منع أبا
عمرو والكسائي من إمالة أبصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد قلت : لأن الزاء
المكسورة تغلب المستعلية لما فيه من التكرير كأن فيها كسرتين وذلك أعون شيء على الإمالة
وأن يمال له ما لا يمال . والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويحرك المرئيات . كما
أن البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل . وكأنيهما جوهرا ن لطيفان خلقهما []
فيهما آلتين للإبصار والاستبصار .
وقرئ " غشاوة " بالكسر والنصب . وغشاوة : بالضم والرفع . وغشاوة : بالفتح والنصب .

وغشوة : بالكسر والرفع . وغشوة : بالفتح والرفع والنصب . وعشاوة : بالعين غير المعجمة والرفع من العشا .

والعذاب : مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول : أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه . كما تقول : نكل عنه . ومنه العذب لأنه يجمع العطش ويردعه بخلاف الملح فإنه يزيده . ويدل عليه تسميتهم إياه نقاخا لأنه ينقخ العطش أي يكسره . وفراتا لأنه يرفته على القلب . ثم اتسع فيه فسمى كل ألم فادح عذابا وإن لم يكن نكالا - أي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة . والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكأن العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير . ويستعملان في الجثث والأحداث جميعا . تقول : رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره . ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعاً من الأغذية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله . ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله .

اللهم أجرنا من عذابك ولا تبلىنا بسخطك يا واسع المغفرة .

" ومن الناس من يقول ءامنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ! .

يخدعون الله والذين ءامنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله

مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون "